

SIATS Journals

Journal of Arabic Language Specialized Research (JALSR)

Journal home page: http://jalsr.siats.co.uk

e-ISSN: 2289-8468



مجلة اللغة العربية للأبحاث التخصصية

المجلد 5، العدد 2، 2020

e-ISSN: 2289-8468

النظرية السلوكية والنظرية المعرفية في اكتساب اللغة: دراسة مقارنة

THE BEHAVIORAL AND COGNITIVE THEORY IN LANGUAGE ACQUISITION: A COMPARATIVE STUDY

ياسر عرفات

yarfatdu@gmail.com

جامعة الملك سعود، رياض

2020

ARTICLE INFO
Article history:
Received 01\05\2020
Received in revised form 01\20\2020
Accepted 07\01\2020

Abstract

The Behavioral theory says that learning is all about change in human behavior which a person achieves through stimuli and response. Language is also a behavior that is obtained as a non-linguistic behavior through stimulus and response. On the other hand, cognitive theory says that learning takes place from a set of mental cognitive processes like understanding, attention, receiving information, preparing and processing it in sync with interaction with the surrounding environment, similarly it considers that the second language acquisition also depends on complex mental processes which can be controlled with conscious learning of language grammar. In view of the conflicting views of educationists and linguists in effective learning and teaching of the language, we must ask what the most appropriate opinion of these views is. This topic is worth researching to get the positives out of both theories by the comparative study of these two theories. So that learner and teacher can choose the best strategies for learning or teaching the language. The researcher relies on his research on the comparative and descriptive approach in this study.

Keywords: Theory, Behavioral, Cognitive, Learning, Behavior.

ملخص البحث

إن النظرية السلوكية ترى أن التعلم هو تغير في السلوك البشري والسلوك يحصل الفرد عليها من خلال المثير والاستجابة. وإنما اللغة أيضا سلوك فيحصل عليها كسلوك غير لغوي عن طريق المثير والاستجابة. ومن ناحية أخرى، ترى النظرية المعرفية أن التعلم هو يحدث من مجموعة من العمليات المعرفية العقلية من الفهم والانتباه واستقبال المعلومات وتجهيزها ومعالجتها متزامنا مع التفاعل مع البيئة المحيطة بها وكذالك ترى أن اكتساب اللغة الثانية أيضا يعتمد على العمليات العقلية المعقدة، يمكن السيطرة عليها بتعلم واع عن طريق القواعد للغة. فنظرا لتضارب آراء التربويين واللغويين في التعلم والتعليم الفعال للغة، لا بد لنا من التساؤل عما هو الرأي الأنسب من هذه الآراء. فهذا الموضوع يجدر بالبحث لإخراج الإيجابيات من النظريتين وذالك بالدراسة المقارنة لهاتين النظريتين؛ حيث يختار المتعلم والمعلم أفضل استراتيجيات لتعلم اللغة أو لتعليمها. يعتمد الباحث في بحثه على المنهج المقارن والوصفي في هذه الدراسة.

الكلمات الرئيسية: النظرية، السلوكية، المعرفية، التعلم، السلوك.

المقدمة: لقد ازداد اهتمام اللغوين في مجال تعلم وتعليم اللغة الثانية خلال العقدين الأخيرين لأسباب منها: أولا، الحاجة المتزايدة للناس لتعلم اللغات العديدة للعمليات الاقتصادية خارج الوطن. ثانيا، الأعداد المتزايدة للمهاجرين والطلبة الأجانب الذين يحتاجون إلى لغة الشعوب الذين يتعاملون معهم. كما يلاحظ هذا في دول الغرب عموما؛ حيث العمال من الأجناس المختلفة والطلبة من الدول النامية يهاجرون لاكتساب الرزق وللدراسة. فهم يحتاجون إلى لغات هذه الدول الغربية للتعامل بها. ثالثا، الدراسات والأبحاث المتزايدة التي أجريت في مجالات اللغويات مثلا: علم اللغة النفسي والسلوكي والاجتماعي والمعرفي مما تؤدي إلى تسهيل عملية تعلم اللغة الأجنبية وتعليمها.

إن اللغة هي ملكة إنسانية، يكتسبها الإنسان أكثر من واحدة بعد لغته الأم. والسؤال هنا، كيف يكتسب الإنسان اللغة سواء كانت اللغة الأم أو اللغة الثانية. وفي الإجابة عن هذا السؤال المهم، جاءت النظريات العديدة. كل هذه النظريات تحاول الإجابة عن السؤال: كيف يحدث تعلم اللغة لدى الناس. ومن هذه النظريات: النظريات السلوكية والنظريات المعرفية. والباحث يسعى هنا إلى تناول المبادئ الأساسية للنظريتين السلوكية والمعرفية واتجاهاتهما في اكتساب اللغة بالدراسة المقارنة بينهما.

المحور الأول: النظرية السلوكية:

مفهوم النظرية السلوكية لغة: أولا، كلمة ' نظرية 'مشتقة من النظر التي تعني التأمل العقلي وفي الفرنسية تعني النظرية " بناء أو نسق" متدرج من الأفكار الذي يتم الإيصال فيه من المقدمات إلى النتائج، في حين يعرفها لسان العرب ابن منظور على أنها ترتيب أمور معلومة على وجه يؤدي إلى استعلام ما ليس بمعلوم وقيل النظر طلب علم عن علم (المزاهرة، 2012).

والنظرية في الاصطلاح، بأنه عبارة عن مجموعة من الأفكار والمفاهيم والاقتراحات التي تعطي فكرة منظمة لظاهرة ما وذاك عن طريق تحديدها للعلاقات المختلفة بين المتغيرات الخاصة بالظاهرة بهدف تفسير تلك الظاهرة (أنجرس، 2006).

أما كلمة ' سلوكية 'مشتقة من السلوك، معناها سيرة الإنسان ومذهبه واتجاهه. السلوك: مصدر سلك طريقا ; وسلك المكان يسلكه سلكا وسلوكا وسلكه غيره وفيه وأسلكه إياه وفيه وعليه (ابن منظور، 2003). واصطلاحا، هو الفعل الذي يقوم به الكائن الحي والذي يمكن ملاحظته وتقييمه كالحركة والمشي واحمرار الوجه وغيرها. فهي "عبارة عن مجموعة من العادات التي يكتسبها الإنسان أثناء مراحل نموه المختلفة. ويرجعون ذالك إلى العوامل البيئية التي يتعرض لها الفرد" (وزارة المعارف،2001، ص، 38).

مفهوم النظرية السلوكية اصطلاحا: إن النظرية السلوكية ترى أن التعلم هو تغير في السلوك البشري وهذا السلوك يحصل من خلال المثير والاستجابة يعني التعلم الحقيقي يحدث نتيجة لحدوث ارتباط بين المثير والاستجابة بحيث إذا ظهر هذا المثير مرة أخرى فإن الاستجابة التي ارتبطت به سوف تظهر هي مرة أخرى. مثلا، يتعلم الطفل اللغة عن طريق حدوث ارتباطات بين الألفاظ والأشياء التي ترمز لها هذه الألفاظ. فالتعلم من منظور النظرية السلوكية هو تكوين سلوك أو عادات من خلال سلسلة من الارتباطات الأولية بين المثيرات والاستجابات المعززة (خير الله وآخرون، 1996). ويعد تعلم اللغة أحد المظاهر السلوكية التي تكتسب وتتعلم من خلال الاستجابة والمثير عند السلوكيين.

فظهرت نظريات عديدة اعتمادا على فكرة المثير والاستجابة. وأهمها ثلاث: نظرية الاشراط الكلاسيكي لبافلوف، نظرية الاشراط الإجرائي لسكينر ونظرية المحاولة والخطأ لثورندأيك. يتمثل في التالي بيان موجز عن مبادئ هذه النظريات.

مبادئ النظريات السلوكية: تأسست نظريات السلوكية على بعض المبادئ كما تتمثل فيما يلي:

1. **الاشراط الكلاسيكي**: هو اقتران المثير الطبيعي مع المثير المحايد بهدف الاستجابة الشرطية بنفس القوة –كما–ينتزع المثير الطبيعي. وذالك بتكرار الاقتران عدة مرات. وهذا الاشراط الكلاسيكي يلاحظ في تعليم معاني الكلمات الجديدة؛ حيث تقترن الصور مع شكل الكلمات مرات لتحصيل المعاني فيفهم الدارسون معانيها بالكلمة المكتوبة. فهنا شكل الكلمة أو الكلمة المكتوبة تمثل المثير الشرطي التي تقترن مع الصورة وهي المثير غير شرطي (راوية، 2016)
2. **المثير**: المثير هو عامل خارجي يثير الكائن الحي ليحصل الاستجابة أو التعلم. وهذا المثير قسمان من منظور التعلم الاشراط الكلاسيكي وهما: المثير الطبيعي أو غير شرطي والمثير المحايد أو الشرطي. المثير الطبعي هو ما ينتزع الاستجابة الطبيعية ولا يحتاج في انتزاعها إلى الاقتران أو التدريب. أما المثير المحايد فهو ما يتزع الاستجابة بعد تكرار اقترانه مع المثير الطبيعي. كما صوت الجرس ينتزع سيل لعاب الكلب باقترانه مع الطعام عدد مرات. عند تعليم اللغة، يمثل المثير في الإشارات اللغوية التي تستجر الاستجابة المتوقعة من الدراسين بالخصوص في التمارين البنيوية بهدف خلق سلوك أو عادات كلامية عندهم (ملحم، 2006).
3. **الاستجابة**: الاستجابة هي عبارة عن كل نشاط عضوي أو هي ردود الفعل للمثيرات تظهر نتيجة لتغير ما في المحيط الخارجي أو الداخلي. وهذه الاستجابة صنفان: أحدهما الاستجابة الطبيعية والثاني، الاستجابة الشرطية. فالاستجابة الطبيعية هي التي ينتزعها المثير الطبيعي–كما=طرفة العين عند التعرض للهواء. وأما الاستجابة الشرطية التي ينتزعها المثير الشرطي (محمود، 2012).
4. **التكرار**: إن التكرار هو أهم شيء في التعلم الشرطي؛ وبالتكرار يحصل المثير المحايد مقام المثير الطبيعي في انتزاع الاستجابة الشرطية. هذا التكرار يلعب دورا بارزا في عملية التعليم أو في اقتران المثير الشرطي بالمثير الطبيعي، فالاستجابة الشرطية

لا تحدث دفعة واحدة وإنما يحدث بالتدريج ولا بد من حدوث تكرار الاقتران بين المثير الشرطي وغير الشرطي لإظهار سلوكا أو استجابة شرطية (محمود، 2012).

5. **التعزيز**: التعزيز مهم جدا في نظرية سكينر وهو عملية يتم من خلالها تقوية سلوك معين. بناء على التعزيز، قد يقوى السلوك ويثبت في الرصيد المعرفي أو يضعف، إذن التعزيز هو بمثابة المكافأة فالسلوك إذا عقبته مكافأة تكرر السلوك وإذا عقبه العقاب فلا يتكرر–كما– يلاحظ هذا في تكرار بكاء الطفل للحصول على اهتمام الوالدين به (الزغول، 2012).
6. **العقاب**: العقاب هو إجراء مؤلم أو مثير غير مرغوب فيه يتبع سلوكا ما بحيث يعمل على إضعاف احتمالية تكرار مثل هذه السلوك لاحقا فهو بمثابة حالة غير سارة أو مثير مؤلم يرتبط بعلاقة زمنية معينة مع الاستجابة بحيث يؤثر في احتمالية ظهورها لاحقا (الزغول، 2012،).
7. **تشكيل الارتباطات وفق مبدأ المحاولة والخطأ**: لقد توصل ثورندأيك إلى القرار النهائي أن التعلم هو عملية آلية تقوم على تقوية الارتباطات بين الاستجابات والمثيرات وتتشكل هذه الارتباطات من خلال المحاولة والخطأ. وفقا لهذا المبدأ فإن الاستجابة المناسبة لمثير معين يتم التوصل إليها على نهج تدريجي بتقوية الارتباط بين الاستجابة والمثير. كما حدث هذا في تجربة ثورندأيك على القطة (Dembo, 1994).
8. **التدريب**: يرى ثورندأيك أن الرابطة بين الاستجابة والمثير تقوى بالتدريب والممارسة وتضعف بعدم الممارسة، يعني بتكرار استخدام مثل هذه الارتباطات عند مواجهة ذالك الموقف المثيري تقوى الاستجابة المتوقعة، أما بالإهمال أو عدم تكرار الاستخدام فتضعف وتضمحل (Thorndike, 1932).
9. **الاستعداد**: الاستعداد يقصد به حالة التهيؤ أو النزعة إلى تحقيق استجابة متعلمة ما أو الرغبة في تعلم استجابة جديدة في موقف مثيري معين. لقد افترض ثورندأيك أن الاستعداد يلعب دورا هاما في حدوث عمليات التعلم وتحقيق الاستجابات وأيضا يرى أن الاستعداد يسهم في تحديد المواقف والظروف التي يكون لدى الفرد فيها ميل للرضاء والارتياح، في حين، أن عدم الاستعداد يؤدي إلى عدم تحصيل مثل هذه الاستجابة (Hill, 1990).

اتجاهات النظرية السلوكية إلى اكتساب اللغة: تتمثل فيما يلي بعض النقاط عن اتجاهات النظرية في اكتساب اللغة:

1. **اللغة شكل من أشكال السلوك**: إن السلوكيين يرون أن اللغة هي شكل من أشكال السلوك، فاكتسابها لا يختلف عن اكتساب أي سلوك آخر. فالطفل يكتسب اللغة كما يكتسب سوكا آخر من البيئة وذالك بالتعزيز الإيجابي الذي يتلقاه من الأم والأب وأعضاء الأسرة وغيرهم من المحيطين به. حيث يعززه الجميع كلما نطق كلمة أو جملة من السنة الأولى. أما إذا نطق خطأ فيصححون خطأه (العصيلي، 1420هـ).

2. **اللغة عادة مكتسبة**: يرى سكينر أن اللغة هي عادة مكتسبة كالعادات الأخرى للبشر. وهذه العادة اللغوية تقوى وتثبت عندما يعزز الإنسان في اكتسابه وتضعف عندما يعاقب ولم يعزز في عملية الاكتساب. ويرى سكينر أيضا أن الطفل يولد صفحة بيضاء خالية من اللغة؛ فعندما ينجح في اكتساب عادات للغوية الأم نتيجة التعزيز الإيجابي من أفراد البيئة ونتيجة التدريب المتواصل بدون وعي يمكنه اكتساب عادات لغوية أخرى. ومن هذه المنطلق سكينر يعتبر أن جميع السلوك البشرية تقريبا نتيجة للتعزيز الاشتراطي أي السلوك ما هو إلا إجراء يعتمد على البيئة بحيث يؤدي إلى نتائج محددة تصف السلوك الإنساني (أبو شعيرة، 2011).
3. **اللغة استجابة كالاستجابة غير اللغوية**: يستنتج من مبادئ النظرية السلوكية أن اللغة هي استجابة تكتسب كما استجابات غير اللغوية وذالك بالمثيرات والتقليد والمحاكات والتكرار والاشتراط والتعزيز؛ حيث يبدأ الطفل استقبال اللغة من السنة الأولى تدريجيا، أولا، يحدث أصواتا عشوائية تسمى "المناغاة" ويمر بمراحل عديدة من التدرج بدأ من الأصوات ثم المقاطع ثم الكلمات ثم الجمل ثم التعبير-هكذا- يصير متكلما طلقا (راوية، 2016).
4. **تجربة سكينر في تعلم اللغة**: قام سكينر بتجربة في تعلم اللغة وذالك باستخدام مجموعة من الأصوات، بعضها تدل على المعاني المعينة يعني مفهومة ومترابطة، بعضها عشوائية غير مترابطة وغير مفهومة لا تدل على أي معان. فعرض سكينر تسجيلات نوعين من الأصوات على بعض المستمعين، لاحظ سكينر أن الأصوات المفهومة المترابطة تتعزز بالفهم والمتابعة وتثبت في الذهن. أما الأصوات غير المترابطة وغير المفهومة تتعرض للانطفاء والإهمال حيث لا تثبت عند الأطفال (العنكوشي، 2016). فخلاصة اتجاهات نظرية السلوكية تتشمل في النحو التالي:

- اللغة مجموعة من السلوك والعادات يتعلمها الإنسان بالتقليد والمحاكات.
- التعزيز أو المكافأة عنصر مهم وراء اكتساب اللغة.
- البيئة وأعضائها يساعدون على اكتساب اللغة.
- اللغة نظام منطوق قبل أن يكون مكتوبا.
- اكتساب اللغة يتم بطرق مشابهة لتعلم المهارات أو الاستجابات غير اللغوية عن طريق المحاكات والتقليد والتكرار والاشتراط والترابط والتدعيم.
- باختصار شديد، أن اللغة سلوك يمكن تعلمه باستثارة الإنسان للسلوك.

المحور الثاني: النظرية المعرفية.

مفهوم النظرية المعرفية لغة: قد تم تحليل معنى النظرية في المحور الأول. فالكلمة الثانية من المصطلح "المعرفية" من معرفة، معناها الإدراك والوعي وفهم الحقائق عن طريق العقل المجرد أو بطريقة اكتساب المعلومات أو من خلال التأمل في طبيعة

الأشياء. وفي قاموس أوكسفورد الإنجليزية "المعرفة" هي الخبرات المهارات المكتسبة من قبل شخص من خلال التجربة أو التعليم. أما المعرفة في الاصطلاح، فهي عبارة عن جميع العمليات العقلية الداخلية التي بواسطتها يدخل المدخل الحسي Sensory Input ويطور ويختزن لدى الفرد إلى أن يستدعي لاستخدامه عند الحاجة. ومن العمليات النفسية التي يتعرض لها المدخل الأساسي هي الإدراك والإحساس والتخيل والتذكر والاستدعاء والتفكير وغيرها من العمليات النفسية الأخرى التي تشير إلى المستويات العقلية لهذا الأداء (الشرقاوي، 2012).

مفهوم النظرية المعرفية اصطلاحا: النظرية المعرفية من نظريات التعلم التي تفسر كيفية حدوث التعلم لدى الإنسان. وهي ترى ما يقوم به الإنسان من العمليات العقليات الداخلية من تفكير وإدراك وفهم وتنظيم أساسا لحدوث السلوك والتعلم (الخيري، 2012). وترى هذه النظرية أن وعي المتعلم بما اكتسبه من معرفة وبطريقة اكتسبها يزيد من نشاطه الميتامعرفي لتطوير جودة التعليم. فالنظرية المعرفية تهتم بمصادر المعرفة واستراتيجيات التعلم وتهتم أيضا بالبنية المعرفية من خلال الخصائص التالية: التمايز والتنظيم والترابط والتكامل والكم والكيف والثبات النسبي ومن أهم النظريات المعرفية نظرية بياجيه في النمو المعرفي جديرة بالذكر هنا.

أ، **نظرية بياجيه في النمو المعرفي**: نظرية بياجيه معروفة بنظرية النمو المعرفي. وهذه النظرية لأول مرة قامت بتفسير التطورات العقلية والمعرفية لدى الإنسان من الميلاد إلى الممات. فهذه النظرية تتحدث عن الكيفية والاستراتيجيات العقلية التي من خلالها تنمو المعرفة لدى الفرد في مراحل نموه المختلفة وتفترض أن إدراك الفرد لهذا العالم وأساليب تفكيره تتغير من مرحلة إلى أخرى، إذن تكون في كل مرحلة من حياة الفرد أساليب استثنائية لتفكيره تحكم إدراكات الفرد وتؤثر في أنماطه السلوكية. فبياجيه يفسر في نظرية هذه التغيرات التي تطرأ على تفكير الأولاد والعوامل المعرفية التي تسيطر على مثل هذه التغيرات (الزغول،2012). يرى بياجيه أن الأطفال في نموهم المعرفي والعقلي يمرون بمراحل مختلفة، يتغير فيها سلوكهم وأساليب تفكيرهم، حتى يصلوا إلى مرحلة النضج. وهذه المراحل تتمثل فيما يلي:

1، **المرحلة حس–حركية**: تمتد هذه المرحلة من الميلاد حتى نهاية السنة الثانية من العمر. فيعتمد في هذه المعرفة على استخدام الحواس الخمس والأفعال الحركية لاكتشاف العالم المحيط به، لا يمتلك قوة التفكير في هذه المرحلة. تمتاز هذه المرحلة بمميزات عديدة، تتمثل في النحو الآتي (الزغول، 2012):

- يعتمد الطفل على الاتصال الحسي مباشرا والأفكار الحركية كأداة التفكير في البيئة المحيطة به.
- يلجأ الطفل إلى المحاكات والتقليد والمحاولة والخطأ واللعب بالأشياء كأدوات لاكتساب المعرفة.
- يميل الطفل إلى التعميم في الأشياء المشابهة للشيء المكتسب كما يعتقد امرأة ما أما له.

- يكتسب الطفل بعض الرموز اللغوية التي تمثل بعض المفردات اللغوية وهي في أغلبها أسماء الأشياء أو تعبر عن حالة معينة كالبكاء عند الجوع أو عند غياب الأم.

2، **مرحلة ما قبل العمليات:** تمتد هذه المرحلة من سن الثالثة حتى السابعة من العمر. وفي الأصل هذه مرحلة انتقالية تحويلية، لا يقوم الطفل بعمليات منطقية وفكرية؛ حيث يعتمد على الشكل والصورة. لا يمتلك قوة التفكير والاستنباط لينتقل من العام إلى الخاص أو عكسه (الزغول، 2012). ولكن الطفل يحصل على مؤهلات تتمثل في التالي:

- يستخدم اللغة بشكل كبير في هذه المرحلة؛ حيث يزداد عدد المفردات والقدرة على استخدامها وبخاصة من قدرته على استخدام اللغة للتسمية والتصنيف والدلالة على الأشياء إلا أنها في أغلبها عن الأشياء المادية المحسوسة.
- ولو يستخدم الطفل اللغة بطلاقة في هذه المرحلة إلا أنها لا تشكل أداة تفكير بل استخدامها في الأغلب كأداة الاستفهام وحب الاستطلاع في محاولة لفهم طبيعة الأشياء؛ لأنه يعتمد في تفكيره على الإدراك الحسي والفعل الحركي والتمثيل الصوري.
- لا يقدر الطفل على تصنيف الأشياء ضوء أكثر من بعد حيث لم يكتسب مفهوم التبادلية بعد. ولكن يصنف الأشياء وفقا لبعد واحد فقط.
- لا يقدر على الاحتفاظ والذي يعني أن الأشياء لا تتغير بتغير منظورها أو شكلها الخارجي. تسمى هذه الظاهرة بثبات الإدراك (Perceptual Consistency) فالطفل في هذه المرحلة لا يدرك مفهوم الاحتفاظ بالعدد أو الكتلة أو الحجم أو الشكل (Piaget& Inhelder, 1958).

3، **مرحلة العمليات المادية:** تمتد هذه المرحلة من السنة الثامنة إلى السنة الحادية عشرة من العمر، يقدر الطفل على القيام بالعمليات العقلية الحقيقية المرتبطة بالأشياء المادية التي يصادفها أو يعرفها سابقا. -كذالك- الطفل يقوم بالعمليات المنطقية والبحث عن الأسباب وإظهار الأحكام والتنبؤ بالحوادث المستقبلية وهذه كله بناء على المستوى المادي المحسوس (الزغول، 251). وأبرز خصائص لهذه المرحلة:

- تنمو بعض المهارات المعرفية العقلية فيتمكن من القيام بالترتيب والتصنيف والتبويب للأشياء ويصبح متمكنا من التفكير فيها في ضوء أكثر من بعد واحد.
- يتخلص من التمركز حول الذات؛ حيث يهتم بوجهات نظر الآخرين ويعمل جاهدا على نيل رضاهم. يصبح الطفل أقل ذاتيا وأكثر اجتماعيا حيث يستخدم ضمير "نحن" بدلا من استخدام "أنا" واللعب بالجماعة تسهم كثيرا في خلق هذه الظاهرة.
- يقدر على حل المشكلات العديدة ذات الارتباط المادي بناء على العمليات المعرفية التي طورها كالاحتفاظ والمعكوسية والتعويض والإغلاق.

- يفهم الطفل الزمن وينجح في التمييز بين الماضي والحاضر والمستقبل –وكذالك– يدرك المكان والمسافة والعلاقات الهندسية والعمليات الفيزيائية.
- يفشل الطفل في هذه المرحلة في عمل الاستدلالات والاستنتاجات اللفظية واكتشاف المغالطات المنطقية في العبارات اللغوية التي تقدم له. كذاك، يفشل في التفكير في الفرضيات والاحتمالات المستقبلية دون الرجوع إلى الخبرة المادية المحسوسة.

4، **مرحلة العمليات المجردة**: تمتد هذه المرحلة من الثانية عشر من العمر إلى السنوات اللاحقة. يتم في هذه المرحلة نمو المفاهيم والمبادئ التي تعرف عليها في المراحل السابقة. وتختلف هذه المرحلة عن المراحل الثلاث الأولى من حيث طبيعة ونوعية العمليات المعرفية التي يستطيع الفرد القيام بها. فالفرد لا يعتمد في هذه المرحلة على العمليات المرتبطة بالموضوعات المادية المحسوسة فقط، بل يستخدم العمليات العقلية المنطقية القائمة على الرموز والمعاني والمفاهيم المجردة. ويستطيع الفرد إدراك جميع الفرضيات والاحتمالات والبدائل بظاهرة ما ثم يصل إلى النتائج المتوقعة. فيما يلي تتمثل أهم الخصائص لهذه المرحلة (الزغول، 2012):

- يقل اعتماد الطفل على الأساليب المرتبطة بالمعالجات المادية ويصبح أكثر اعتمادا على أساليب التفكير المجرد.
- تنمو القدرة على وضع الرضيات وإجراء المحاكمات العقلية والاختبار لهذه الفروض للتأكد من صدقها أو عدمه. فهو يلجأ إلى الاستدلال العقلي كأداة رئيسية للوصول إلى نتائج معينة.
- يقدر الطفل على التفكير المنظم والبحث في جميع الأساليب المحتملة لإحداث ظاهرة ما.
- تنمو القدرة على التحليل الاستقرائي والذي يتمثل في انتقال من الجزء إلى الكل –كذالك– يقدر على التفكير الاستنتاجي الذي يتمثل في الوصول إلى أحداث جزئية من خلال القواعد والتعميمات.

المبادئ الأساسية في النمو عند بياجيه: تتمثل فيما يلي المبادئ الأساسية للنمو المعرفي عند بياجيه:

أولا، قدرة التنظيم: إن قدرة التنظيم تعد نزعة فطرية لدى الإنسان التي تمكن الإنسان من تنظيم خبراتهم الخارجية وعملياتهم المعرفية الجديدة في ضوء ما يوجد لديهم من البنى المعرفية البسيطة والاستعدادات لتكوين أبنية أو مصطلحات جديدة. فعلى سبيل المثال: يولد الأفراد ولديهم بنية معرفية منفصلة تتعلق بالنظر إلى الأشياء وبنية معرفية تتعلق بمسك الأشياء، فمن خلال عمليات النمو تتيح له قدرة التنظيم دمج هاتين البنيتين معا في بنية أكثر تعقيدا تتمثل في مسك الأشياء والنظر إليها في وقت واحد (الزغول، 2012).

ثانيا، التكيف: التكيف هو نزعة فطرية مزود بها الإنسان بيولوجيا التي تمكنه من التأقلم والتعايش مع البيئة المحيطة به عن طريق تغيير أنماطه السلوكية استجابة لمطالب البيئة ويمكنه من التنويع في طرق وأساليب تفكيره باختلاف فرص

التفاعل والمراحل العمرية التي يمر بها. فقدرة التنظيم وقدرة التكيف قدرتان متكاملتان إحداهما لأخرى حيث تعمل قدرة التكيف في داخل الفرد في إعادة تنظيم البنى المعرفية الجديدة مع المعرفية الموجودة بيولوجيا لتكوين أبنية جديدة، وفي نفس الوقت تعمل قدرة التكيف في الخارج في تطبيق البنى المعرفية الحاصلة. فبهذه الطريقة يعمل الفرد على تحقيق نوع من التوازن مع ما يحدث من متغيرات في البيئة التي يتفاعل معها وبالتالي يستطيع الفرد أن يعيش ويبقى (الزغول، 2012). والتكيف يحدث من خلال عمليتين متكاملتين هما:

1. **التمثل**: التمثل هو عملية تحليل البنى المعرفية أو الخبرات الجديدة في ضوء البنى المعرفية الموجودة لدى الفرد أو أنه عملية تعديل الخبرات الجديدة بما يتناسب مع الأبنية المعرفية الموجودة لدى الفرد لتتلاءم مع ما هو موجود. فعلى سبيل المثال، الطفل الذي يرى الحصان لأول مرة يمكن هو يستخدم الخبرات السابقة لتفسير الحصان، حيث يطلق عليه اسم "كلب كبير" على اعتبار أن لديه بنية معرفية سابقة عن "الكلب" (الزغول، 2012).
2. **التلاؤم**: هو عبارة عن تعديل البنى المعرفية الموجودة أو الخبرات السابقة لدى الفرد لتتناسب مع الخبرات الخارجية. فوفقا لهذه العملية يستطيع الفرد أن يغير خبراته السابقة في ضوء الخبرات الجديدة لتتلاءم مع الواقع الخارجي. فهي عملية معاكسة لعملية التمثل (الزغول، 2012).

اتجاهات النظرية المعرفية في اكتساب اللغة: إن اكتساب اللغة في النظرية المعرفية أمر يتعلق بنمو المعرفي والعقلي للطفل، يعني اللغة يحصل عليها الطفل للتعبير عما حصل من البنى المعرفية بعد التفاعل مع البيئة. هذا هو أساس رئيسي لاتجاهات النظرية المعرفية في اكتساب اللغة، بناء عليه أخرج العلماء بعض النقاط وهي تتمثل فيما يلي:

1. **اللغة مجموعة من التفاعل والبنى المعرفية**: ترى النظرية المعرفية أن اكتساب اللغة يحدث نتيجة تفاعل الطفل مع البيئة المحيطة به في إطار قدرته على معالجة المعلومات معرفيا وفي ضوء نموه العقلي والمعرفي. يؤكد بياجيه أنه هناك تركيبات لغوية متعلمة تساعد الطفل على التعامل مع الرموز والمفردات اللغوية التي تعبر عن أفكار تنشأ من تفاعل الطفل مع بيئته منذ المرحلة الأولى وهي المرحلة الحس-حركية. وهو بذالك يركز على دور البيئة ودور العمليات المعرفية في تنمية البنى اللغوية (محمد وعيسى، 2011). فعلى سبيل المثال، قبل أن يستعمل الأطفال تركيب المقارنة التالية "هذه السيارة أكبر من تلك السيارة" يجب عليهم أن يطوروا مفاهيمهم عن الحجم، وإلا يعجزون عن استعمال هذا التعبير.
2. **اكتساب اللغة يمر بمراحل نمو المعرفي والعقلي**: حسب نظرية بياجيه المعرفية أن اكتساب اللغة يمر بأربع مراحل لنمو المعرفي للطفل؛ حيث في المرحلة يكتسب بعض المفردات اللغوية والتي في أغلبها ترتبط بأسماء الأشياء وفي المحلة الثانية يكتسب المفردات أكثر ويقدر على استخدامها إلا ينحصر استخدامه اللغوي للتعبير عن الأشياء المادية

المحسوسة وفي المرحلة الثالثة يمتد استخدمه اللغوي إلى الأشياء المجردة حتى يستطيع نوعا من التفكير من خلال اللغة وفي المرحلة الرابعة يصل نموه اللغوي إلى النضج (الزغول، 2012)

3. **اكتساب اللغة هو عملية عقلية**: إن اكتساب اللغة أو تعلم اللغة هو عملية نفسية نشيطة وهذا الأمر يحصل تدريجيا بنمو العقل الذي يحدث نتيجة اكتشاف العالم حوله دون تكوين العادة من خلال المثير والاستجابة (Demirezen, 2014).

4. **اكتساب اللغة الثانية بوعي**: ترى النظرية المعرفية أن عملية اكتساب اللغة هو عبارة عن اكتساب السيطرة الواعية على اللغة الهدف في مجال الأصوات والكلمات والتراكيب وذالك بالدراسات التحليلية في العناصر والأنماط اللغوية. كما قال كيرل عنه (Carroll): "Learning a language is a process of acquiring conscious control of the phonological, grammatical and lexical patterns of the second language, largely through study and analysis of these patterns as body of language" (Carrol, 1966:102).

5. **اكتساب اللغة يتم بتعلم القواعد**: تنظر النظرية المعرفية إلى اكتساب اللغة الثانية أنه عملية عقلية معقدة ونظام محكم بقواعد؛ فاكتساب اللغة يطلب من الطلاب أن يتعلموا قواعد اللغة الهدف قبل تعلم اللغة.

6. **اكتساب اللغة بنمط متسلسل**: إن السيطرة المعرفية تعمل بطريقة منتظمة تبدأ من الوحدة الصغرى ثم تصل إلى الوحدة الكبرى. فاكتساب اللغة يطلب تعلم الصوت قبل الكلمة والكلمة قبل الجملة الناقصة والجملة الناقصة قبل الجملة التامة والجملة السهلة قبل الجملة الصعبة. هكذا يتم اكتساب اللغة بطريقة متسلسلة (Demirezen, 2014).

المحور الثالث: المقارنة بين النظرية السلوكية والنظرية المعرفية في اكتساب اللغة.

بعد البيان المفصل عن النظرية السلوكية والنظرية المعرفية، نود أن نبحث في المقارنة بين هاتين النظريتين وذالك ببيان أوجه التشابه وأوجه الاختلاف بينهما التي تتمثل في النحو الآتي:

أ، **أوجه التشابه بين النظرية السلوكية والنظرية المعرفية**: توجد هناك بعض النقاط التي تشارك فيها نظرية سلوكية ونظرية معرفية كما هي تتمثل في التالي:

1. **الهدف**: تقوم النظرية السلوكية والنظرية المعرفية كلاهما بنفس الهدف وهو تفسير عملية التعلم للأفراد وإخراج الأسباب التي تؤدي إلى ضعف التعلم ثم عرض الاستراتيجيات القوية التي تدفع التعلم إلى النجاح والثبات. كما هو واضح من المبادئ والاستراتيجيات المذكورة في البحث.

2. **السلوك**: السلوك هو موضوع عام يشمل العادات والأخلاق والمعاملات والمهارات الإنسانية كلها التي تجعل البشر قادرا على انتظام الأعمال بشكل جميل. والتعلم كما يقول علماء علم النفس التربوي هو تغير في السلوك الظاهري والعقلي (الزغول، 2012) فالنظرية السلوكية والنظرية المعرفية تشاركان في هذا السلوك، كلاهما تعملان لرفع عملية اكتساب هذا السلوك، إلا أنهما تختلفان في الاستراتيجيات والمرتكزات حيث إحداهما تهتم بالمثير والاستجابة وثانيها تركز على العمليات العقلية.

3. **المثير**: هو كل ما يثير الإنسان للتعلم فهذا المثير موجود عند الناس يدفعه إلى تعلم أمر جديد في كل حين. فالنظرية السلوكية والنظرية المعرفية تعترفان بوجوده ودوره في حدوث التعلم، ينعني تشاركان في هذا المبدأ التعلمي نظريتان. ولكنهما تختلفان في ماهية المثير، حيث قال السلوكيون إن المثير يأتي من الخارج سواء كان المثير طبيعيا أو شرطيا كما هو واضح في تجارب سكينر وبافلوف وثورندأيك وغيرهم من السلوكيين، أما المعرفيون فهم يقولون إن المثير يأتي من داخل الفرد وهو البنى المعرفية العقلية سواء كانت وراثية أو حاصلة جديدة للتكيف مع البيئة.

4. **التعزيز**: إن التعزيز أمر مهم في عملية التعلم، وهذا يضيف السرعة والقوة في التعلم. فمبدأ التعزيز تشارك فيها النظرية السلوكية والنظرية المعرفية. إلا أنه هناك اختلاف في مصادر التعزيز كما السلوكيون يرون أن التعزيز يجد الفرد من مصادر شتى وهي كلها خارجية، أما المعرفيون يرون أن التعزيز يأتي فقط من داخل الفرد.

5. **التفاعل مع البيئة**: نظريات اكتساب اللغة والتعلم جميعها تتكلم عن تفاعل الفرد مع البيئة بمعنى أن جميع النظريات تشارك في هذا المبدأ–كذالك– النظرية السلوكية والنظرية المعرفية تشاركان في هذا المبدأ كما هو واضح في البيان المفصل للنظريتين. إلا أنه فرق بسيط بينهما وهذا أن السلوكية تقول إن الفرد يولد صفحة بيضاء خالية من اللغة، يتعلم اللغة والسلوك بالتفاعل مع البيئة المحيطة به أو المثيرات الخارجية، بينما أن النظرية المعرفية تقول إن الفرد يولد وهم مزود بالبنى العقلية أي الاستعداد للتعلم وراثيا أو بيولوجيا، ثم بناء عليه يتعلم اللغة والسلوك الأخرى بالتفاعل مع البيئة، يعني التعلم يحدث بجمع من البنى المعرفية الوراثية والتفاعل مع البيئة (Osaily, 2003).

6. **التمثل**: هو عملية تفسير السلوك أو الخبرة الجديدة في ضوء البنى المعرفية أو الخبرة السابقة للتكيف مع البيئة كما مر في المحور الثاني. تشارك في هذا المبدأ نظرية سلوكية ومعرفية يعني كلتيهما تهتمان بالخبرة السابقة في التعلم الفعال. كما في اللغة إذا يحصل الفرد على تركيب لغوي يقدر الفرد على تعميم هذا التركيب في مواقف مشابهة.

7. **التقليد والمحاكاة**: النظرية السلوكية والنظرية المعرفية كلتاهما تعترفان بأهمية التقليد والمحاكاة في عملية التعلم خصوصا في مرحلة الطفولة، إلا أن النظرية المعرفية ترى أن التقليد والمحاكات بدون فهم لا يعني ولا يفيد، بينما النظرية السلوكية تهتم أكثر بالتقليد والمحاكات سواء كان مفهوما أو غير مفهوم.

8. **التدريب**: تشارك النظرية السلوكية والمعرفية في التدريب أيضا كما في التقليد والمحاكات، إلا أنه هناك نفس الفرق يوجد في التقليد والمحاكات لأن النظرية المعرفية لا تهتم بالتدريب بدون فهم.

أوجه الاختلاف بين النظرية السلوكية والنظرية المعرفية: الاختلافات التي توجد بين النظرية السلوكية والنظرية المعرفية تتمثل في التالي:

1. **مجال الاهتمام**: يلاحظ في مجال الاهتمام بين النظرية السلوكية والنظرية المعرفية فرق كبير؛ حيث تهتم النظرية السلوكية بالمثيرات الخارجية سواء كانت المثيرات طبيعية أو محايدة وترى أن التعلم الحقيقي يحدث من خلال المثيرات والاستجابات. أما النظرية المعرفية فهي تهتم بدور العمليات العقلية من استقبال المعلومات ومعالجتها وتخزينها واستدعاءها عند الحاجة وغيرها من العمليات التي يقوم بها الذهن. وترى المعرفية أن التعلم يحدث بجمع من البنى المعرفية والتفاعل مع البيئة المحيطة به.

2. **طريقة التعلم**: ترى النظرية السلوكية أن التعلم يعتمد في حدوثه على تكوين عادة تنشأ من خلال المثير والاستجابة وقد تأتي المثيرة من العمليات الخارجية وقد تأتي من البيئة أو من التعزيز سواء كان إيجابيا أو سلبيا. فالتعلم عندهم تغير في السلوك وهذا التغير يحدث نتيجة المثيرة والاستجابة. أما النظرية المعرفية فهي ترى أنه حدوث التعلم ليس هناك دخل للمثيرات الخارجية والتعزيزات الخارجية وإنما التعلم يحدث من خلال مجموعة من العمليات العقلية والمعرفية متزامنا مع التفاعل مع البيئة.

3. **التعزيز**: التعزيز هو الدافعية إلى التعلم وهذا التعزيز له أهمية كبرى في سرعة العملية التعلمية. ولكنه في وجدان التعزيز اختلاف بين النظرية السلوكية والنظرية المعرفية؛ حيث ترى النظرية السلوكية أن التعزيز سواء إيجابيا أو سلبيا يأتي من الخارج أي من الوالدين والأساتذة والبيئة. ولكن النظرية المعرفية ترى أن الفرد يجد التعزيز أو الدافعية إلى التعلم من نفسه يعني إذا ما كان التعزيز عند الفرد فلا يحدث التعلم من التعزيزات الخارجية.

4. **الاستراتيجيات**: في استراتيجيات التعلم يوجد خلاف بين هاتين النظريتين. على سبيل المثال: إن السلوكية تركز على التكرار والتقليد والمحاكاة في العملية التعليمية، يعني المعلم يقوم بقراءة أو بكتابة أمر ما، والطلاب يتبعون المعلم ويكررون المادة المقروءة أو المكتوبة ثم يحفظونها سواء كانت المادة مفهومة أو غير مفهومة يعني الفهم غير مهم عند السلوكية. أما النظرية المعرفية هي التي تركز على المعنى فهي ترى أن التكرار والتقليد والمحاكاة بدون فهم لا يفيد المتعلم. والكن التكرار والتقليد يلعب في حدوث التعلم إذا يصاحبهما الفهم والاستيعاب.

5. **دور المعلم والمتعلم**: هناك اختلاف بين السلوكية والمعرفية في دور المعلم والمتعلم. فالمعلم في النظرية السلوكية يقوم بدور إيجابي ويكون المتعلم سلبيا يعني التعلم يدور حول المعلم في هذه النظرية؛ لأن الأستاذ يجب عليه أن يأتي بمثيرات جديدة في كل يوم لتعليم المتعلم استجابات أو سلوك متوقعة والمتعلم يتدرب عل المثيرات ويقلد المعلم فقط.

بينما، في المعرفية يقوم المعلم بدور سلبي والمتعلم بدور إيجابي، يعني المعلم هو مرشد في هذه النظرية والمتعلم يشارك في عملية التعلم في الفصل ويقوم بجميع العمليات في الفصل بإشراف المعلم.

6. **اللغة والنمو المعرفي**: عند النظرية المعرفية نمو اللغة يتعلق بالنمو المعرفي يعني الطفل في المرحلة الأولى ينمو معرفيا وعقليا ثم يكتسب اللغة للحاجة الطبيعية إلى التعبير عن البنى المعرفية الحاصلة ويكون نموه اللغوي حسب نموه المعرفي. أما النظرية السلوكية ترى أن اللغة فهي عادات وسلوك كعادات وسلوك غير لغوية فيستطيع الطفل أن يكتسب السلوك اللغوي من خلال المثير والاستجابة كالسلوك غير اللغوية الأخرى.

7. **الفرق بين اكتساب اللغة الأم والثانية**: من وجهة نظر النظرية السلوكية أن اكتساب اللغة الثانية يتم بطريقة يكتسب الطفل بها اللغة الأم يعني ليس هناك فرق بين اكتساب اللغة الأم والثانية. فاكتساب اللغة الثانية يتم بطريقة طبيعية يعني بطريقة المثير والاستجابة وعديد من التدريبات من التكرار والتقليد والمحاكاة والمحاولة والخطأ بدون اللجوء إلى اللغة الوسيطة. أما النظرية المعرفية تفرق بين اكتساب اللغة الأم واللغة الثانية؛ لأنها ترى أن اكتساب اللغة الثانية هو يعني السيطرة الواعية على تلك اللغة الثانية وذالك يتم بتعليم القواعد أولا ثم اللغة. فاكتساب اللغة الثانية هو عملية عقلية معقدة تتم بطريقة واعية.

الخاتمة: إن النظرية السلوكية والنظرية المعرفية نظريتان للتعلم عموما وللغة خاصا وهاتان النظريتان تفسران عملية التعلم وتعملان لرفع مستواه وذالك بطريقة واستراتيجيات خاصة. فبعض المبادئ للنظرية السلوكية أنسب وأجدر بالتطبيق في الفصل –كذالك– بعض المبادئ للنظرية المعرفية أنسب وأجدر بالتطبيق في الفصل. ومن المبادئ التي هي الأنسب من السلوكية هي: اكتساب اللغة اللاوعي، تكوين العادة والبيئة المثيرة للطلاب للتعلم، والتركيز على التقليد والمحاكاة والتكرار والتدريب، الدافعية الإيجابية من المتعلم والبيئة والتفاعل معها وغيرها من الاتجاهات الإيجابية للنظرية السلوكية. أما المبادئ الأنسب للنظرية المعرفية هي: سلبية المعلم وإيجابية المتعلم، التقليد والمحاكاة بالفهم، التركيز على الخبرات السابقة للتعلم الجديد، الاهتمام بالتعزيز من نفس المتعلم، التفاعل مع البيئة والمراعاة بعمر المتعلمين عند تصميم المقرر وغيرها من الاتجاهات الإيجابية التي تجدر بالتطبيق في عملية التعليم والتعلم في فصل اللغة. فيجب على المصممين للمقرر الدراسي والمخططين لإعداد المواد للغة الثانية خصوصا للعربية لغير الناطقين بها أن يجمعوا بين الإيجابيات من النظرية السلوكية والنظرية المعرفية. أسأل الله التوفيق بكل ما فيه من الخير ونفع به الأمة.

المصادر والمراجع

- ابن منظور (2003). *لسان العرب* (ط 1، ج 7). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية.
- أنجرس، موريس (2006). *منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية* (ترجمة: بوزيد صحراوي وآخرون) (ط 2). الجزائر: دار القصبة.

- خير الله، سيد محمد وآخرون (1996). سيكولوجية *التعلم بين النظرية والتطبيق*. القاهرة، مصر: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع.
- الخيري، د. أروة محمد ربيع (2012). التعلم من منظورات معرفية. *مجلة كلية الآداب*، جامعة بغداد. 100 (2)، 689-668
- راوية، حمزة (2016). *ملامح النظرية السلوكية في ظل منهاج تعليمة أنشطة اللغة العربية في الطور الأول من المرحلة الابتدائية في الجزائر مدرسة الهاشمي سويد "أنموذجا"* (رسالة الماجيستير). جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر.
- الزغول، الدكتور عماد (2012). *نظريات التعلم* (ط 3). عمان، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- الشرقاوي، الدكتور د. محمد (2012). *التعلم-نظريات وتطبيقات*. القاهرة، مصر: مكتبة الأنجلو المصرية.
- العصيلي، عبد العزيز بن إبراهيم (1420هـ). *النظريات اللغوية والنفسية وتعليم اللغة العربية*. الرياض، المملكة العربية السعودية: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- العنكوشي، الدكتور حليم (2016) *تجربة سكينر في التعلم الإجرائي*. أخذ من موقعه التالي http://dr-haleem.blogspot.com/2016/07/blog-post_15.html.
- محمد، شذي عبد الباقي وعيسى، مصطفي محمد (2011). *اتجاهات حديثة في علم النفس المعرفي*. عمان، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- محمود، إبراهيم وجيه (2012). *التعلم أسسه ونظرياته وتطبيقاته*: القاهرة، مصر: دار المعرفة الجامعية. ص 143.
- المزاهرة، منال هلال (2012). *نظريات الاتصال* (ط 1). عمان، الأردن: دار المسيرة للطباعة والنشر.
- ملحم، سامي محمد (2006). سيكولوجية *التعلم والتعليم الأسس النظرية والتطبيقية*. عمان، الأردن: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع.
- وزارة المعارف (2001). *دليل المرشد الطلابي في مدارس التعليم العام*، الإدارة العامة للإرشاد.

المصادر الإنجليزية

- Carroll, J. B. (1966). The contribution of psychological theory and educational research to the teaching of foreign languages. In A. Valdman 108 (Ed.), *Trends in language teaching* (pp. 93–106). New York: McGraw-Hill.
- Dembo, M.H. (1994). *Applying educational psychology*. N.Y.: Longman
- Demirezen, Mehmet (2014). Cognitive-code theory and foreign language learning relations. *International Online Journal of Education and Teaching* (IOJET). 1 (5), 309-317.
- Hill, W.F. (1990). *Learning: A survey of psychological interpretations* (4th ed). N.Y.: Harper Collins Publisher.
- Piaget, J. & Inhelder, B. (1958). *The growth of cognitive thinking from childhood to adolescenc*e. N.Y.: Basic Book
- Thorndike, E.L. (1932). *The fundamentals of learning*. N.Y.: Teacher College press.